

توجيه مشكل القراءات القرآنية المتواترة في كتب التفسير "تفسير المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي" عينة "

إعداد الدكتور :
طاهر براهيم
Taharbi2014@gmail.com
أستاذ محاضر أ
كلية الآداب واللغات -
جامعة غرداية

*المخلص:

إنّ التعامل مع مشكل القراءات القرآنية يجب أن يتجاوز القواعد الصارمة التي رسمها النحاة إلى سعة المعاني القرآنية المقصودة ، ولا يعني ذلك تجاوز ما قرره النحاة بل القصد إعادة القراءات القرآنية لمكانها الأصلي كونها أصلا من أصول النحو بالقوة والفعل معا ، لما توافر فيها من صحة النقل عكس الشواهد الشعرية التي تأسست كثير من القواعد عليها.

من هنا جاء هذا البحث ليجلّي توجيه المفسرين لمشكل القراءات القرآنية من خلال رصد مجموعة من القواعد المنهجية في تفسير المحرر الوجيز لابن عطية.

ومهدنا لذلك بعرض بعض المفاهيم الأساسية حول المشكل والتوجيه وأهمية توجيه المفسرين للقراءات القرآنية .
الكلمات المفتاحية : القراءات القرآنية ، مشكل القراءات ، التفسير ، المحرر الوجيز.

**Explanation of the equivocal Reading of Quranic readings in the
books of explanation of the Holy Qur'an
Almuharer alwajiz to Ibn Attia "sample".**

*** Abstract :**

In order to deal with the equivocal Reading of Quranic readings, the grammatical rules must be explanation according to the meanings of the Qur'an. This does not mean ignoring the Grammar of the grammarians, but rather that the Qur'anic readings are originally considered as grammatical.

Hence, this research is meant to guide the Explainers the Holy Quran to the problem of Quranic readings by monitoring a conclusion of methodological rules in the Almuharer alwajiz to Ibn Attia.

In the introduction, there are some basic concepts about the equivocal and clarification and The importance of interpretation for Quranic readings.

Keywords :

readings of the Quran , equivocal Reading , Almuharer alwajiz explanation of the Holy Qur'an.



***مقدمة :**

لا يقتصر توجيه القراءات القرآنية على كتب الاحتجاج والعلل فحسب ، بل يتعداها إلى مدونات التفسير المختلفة لا سيما التفاسير التي اهتم أصحابها بالشق اللغوي للنص القرآني ؛ إذ نجد فيها توجيهات وتعليقات قيمة لم يذكرها أصحاب التوجيه والعلل لأنّ المفسر يتعاطى مع

اختلاف القراءات القرآنية مستحضرا سياق الآيات السابقة واللاحقة. بل توجيه القراءات المتعددة هو من صميم عمل المفسر .
 إلا أنّ الدفاع عن القراءات القرآنية يتفاوت من مفسر إلى آخر، فنجد المدافع عن القراءة الصحيحة بالأدلة الدامغة كالسمن الحلبي وابن عادل الدمشقي وابن عاشور من المتأخرين، والناقل للتوجيهات السابقة ، والمتساهل في وسم بعض القراءات الصحيحة بالضعيفة كالزمخشريّ وابن حيان الغرناطي.
 وقد توسّط ابن عطية بين كلّ ذلك فهو أحيانا يوجّه القراءة ويدافع عنها، وأحيانا ينقل الطعن وتوجيهه معا ، وقد يشير إلى من طعن في القراءة دون ردّ وتخرّيج، وقد لا يذكر القراءة أصلا؛ ولعل ذلك الاضطراب ناتج عن عدم أخذ نفسه باستيعاب القراءات ذكرا وتوجيهها.
 وسنعرض لمنهجه في توجيهه مشكل القراءات القرآنية بعد عرض وجيز لمفاهيم أساسية ومقدمات تتمثل في تعريف التوجيه ونشأته وتعريف المشكل وبيان أهمية توجيه المفسرين.



❖ مفهوم توجيه القراءات:

التوجيه مشتق من الوجه ؛ وهو في اللغة مستقبل كل شيء¹ والطريق والسبيل للشيء² ، أما في الاصطلاح فيطلق على " بيان وجه الكلام"³ ، أو بيان وجه ما للحكم⁴ . وتوجيه القراءات القرآنية في أحسن تعاريفه هو : " الكشف عن وجه كلّ قراءة وعللها من حيث الفرق بين معانيها ، مع بيان أنّ هذه القراءة لا تخرج عن لغة العرب"⁵ .
 وقد يتداخل مفهوم توجيه القراءات مع مصطلحات أخرى كحجة القراءات وعلل القراءات ومعاني القراءات ... وغيرها ، والضابط في التفريق بينها هو العموم والخصوص المطلق ؛ لأنّ الاحتجاج للقراءة وبيان معناها وعللها هي أدوات التوجيه ويدل على هذا التفريق ما نجده في نصوص علماء التوجيه ، نحو قول ابن أبي مريم الفسوي في قوله تعالى : (وسَيُصَلُّونَ سَعِيرًا) [النساء 10] بالضم في قراءة .. يقول: " والوجه

أنه من أصلاه الله النار ، مثل أدخله الله ، والمعنى (سَيُدْخِلُونَ النَّارَ) ، وحبته قوله تعالى: (سوف نصليهم نارا) [النساء 56] "6. وقد تتداخل تلك المصطلحات فيطلق أحدها ويقصد به عموم التوجيه، وبهذا نخرج عناوين كتب التوجيه كالحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الفارسي، وحجة القراءات لأبي زرعة بن زنجلة ، والحجة في القراءات السبع لابن خالويه، والموضح في وجوه القراءات السبع وعللها ، و الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب القيسي وغيرها .

❖ نشأة توجيه القراءات :

بدأت الإشارات الأولى لعلم الاحتجاج على يد كبار الصحابة كعمر بن الخطاب وابن عباس وإشارات التابعين ثم بعض ما روي عن القراء وكبار النحاة كعاصم الجحدري وأبي عمرو بن العلاء وسيبويه، " وكانت تلك التوجيهات مفرقة لا تستوعب قراءة بعينها وكانت تعتمد على اللغة، وحمل قراءة على قراءة أخرى لمشابهة بينهما، إما في اللفظ المختلف في قراءته، أو في بنيته، ثم أخذ يتجه إلى شيء من التحليل والتفسير، والاستشهاد بالشواهد "7.

أما التأليف المستقل في الاحتجاج للقراءات القرآنية فقد تأخر إلى النصف الثاني من المائة الرابعة ، وتحديدًا بعد تسبيع ابن مجاهد للقراءات السبع ، وقد توفي سنة : 324هـ.

❖ أهمية توجيه المفسرين للقراءات القرآنية :

إن توجيه القراءات القرآنية والاحتجاج لها وبيان عللها بدأ فعلياً على يد المفسرين ابتداء من مفسري الصحابة رضوان الله عليهم كعبد الله بن مسعود وعلي بن أبي طالب وأم المؤمنين عائشة وعبد الله بن عباس ثم مفسري التابعين كمرويات مجاهد بن جبر وعطاء بن أبر رباح وقتادة السدوسي ، ثم تابعيهم كمقاتل بن سليمان وعلي الكسائي وصولاً إلى الفراء وأبي عبيدة والأخفش وابن قتيبة وابن جرير الطبري ... ثم من جاء بعد التأليف في علم توجيه القراءات وكانت توجيهاتهم أسدّ وأقرب إلى المنطق العلمي في الغالب كالزمخشري وأبي حيان الغرناطي وابن عطية الأندلسي والسمين الحلبي ...

وجهد المفسرين أقرب إلى الصواب من غيرهم لمراعاتهم السياق والمعنى العام للسورة واستحضارهم للمتشابه السياقي في القرآن الكريم كله

❖ مفهوم مشكل القراءات القرآنية :

• أولاً : تعريف المشكل :

المشكل هو اسم فاعل من الفعل الرباعيّ أشكل ، وأشكل عليّ الأمر اختلط⁸، واشتبه والتبس⁹، وهو ما دخل في أمثاله وأشباهه فخفي¹⁰ معناه من معناها.

أما في الاصطلاح فتعددت مفاهيمه بحسب المجال المعرفي فهو عند الأصوليين "ما ازداد خفاء بعد الخفي ، كأنه بعدما خفي على السامع حقيقة دخل في أشكاله وأمثاله حتى لا ينال المراد إلا بالطلب ثم بالتأمل حتى يتميز عن أمثاله"¹¹. أما عند علماء التفسير وعلوم القرآن فمصطلح المشكل عندهم أعم لأنهم يطلقونه على ما أشكل لفظه وما أشكل معناه أو أوهم التعارض أو أشكل إعرابه أو ما أشكل من القراءات القرآنية. ويكفي برهانا على ذلك الاطلاع على عناوين كتبهم كتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي والمشكل من غريب القرآن له أيضا ودفع إيهاب الاضطراب لعهد الأمين الشنقيطي¹².

• ثانيا : مشكل القراءات القرآنية :

يكثر في كتب التفسير وعلوم القرآن عبارة قراءة مشكلة نحو قول الزمخشري : "وقرأ أبو عمرو: (خلفكم) بالإدغام. وقرأ أبو السميعة: وخلق من قبلكم. وفي قراءة زيد بن علي: وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وهي قراءة مشكلة، ووجهها على إشكالها أن يقال: أقم الموصول الثاني بين الأول وصلته تأكيدا، كما أقم جرير في قوله :

يا تَيْمُ تَيْمٌ عَدِيٌّ لاَ أبَا لَكُمْ ...

تيما الثاني بين الأول وما أضيف إليه، وكإحمامهم لام الإضافة بين المضاف والمضاف إليه في: لا أبالك: ولعل للترجي أو الإشفاق. تقول: لعل زيدا يكرمني. ولعله يهينني"¹³.

وقال ابن عطية الأندلسي : " وقرأ أبو واقد والجراح ونبيح والحسن بن عمران «فاصطادوا» بكسر الفاء وهي قراءة مشكلة ومن توجيهها أن يكون راعي كسر ألف الوصل إذ بدأت فقلت: اصطادوا فكسر الفاء مراعاة وتذكرا لكسرة ألف الوصل"¹⁴.

وجاء في الدرّ المصون : " ووراء هذا قراءةٌ مُشكَلَةٌ رَوَّها عن عبيد بن عمير وهي (لِمَ تَلَيْسُوا وتَكْتُمُوا) بحذف النون من الفعلين ، وهي قراءةٌ لا تبعد عن الغلط البَحْت..."¹⁵.

وغيرها من النصوص الدالة على توظيف مصطلح المشكل مع القراءات القرآنية إلا أنّ أوجه التوظيف تتعدّد بحسب مورد الاستشكال ، فبعض القراءات يستشكل معناها نحو قراءة ابن كثير وأبي عمر ونافع وعاصم وأبي جعفر للفظ ترجع بضم التاء في قوله تعالى : (وَأِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) (210) البقرة، قال ابن الجوزي : " ... بضم التاء مشكل ؛ لأنه لا أحد يرجع الأمور إلى الله "16. في قوله تعالى : [وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً] (51) البقرة ، قرأ أبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب الحضرمي لفظ (وَاعَدْنَا) من غير ألف بعد الواو ، وقرأ باقي العشرة بالألف ، فاستشكل أبو عبيد وأبو حاتم ومكي بن أبي طالب قراءة (وَاعَدْنَا) بألف ، من جهة المعنى لأنّ المواعدة لا تكون إلاّ من البشر.

وبعض القراءات تستشكل من جهة الإعراب نحو قول السمين الحلبي : "وقرأ عيسى بن عمر {وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ} بكسر التاء وجرّ «حين» وهي قراءةٌ مُشكّلةٌ جداً"17.

وقد يتسلل الاستشكال من جهة الجمع بين القراءتين لا سيما إن كانتا في نفس مرتبة الصحة نحو الجمع بين قراءة النصب والخفض في أرجلكم في قوله تعالى : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ] [المائدة : 6] .

وفي كل الأحوال فإنّ المفسرين جعلوا من توجيه المشكل من صميم اهتمامهم ذلك للارتباط الوثيق بين توجيه مشكل القراءة وإبراز معانيها لتتوافق مع ما سبقها وما سيلحقها من الآيات .
❖ توجيه ابن عطية لمشكل القراءات :

اعتمد ابن عطية الأندلسي على أهم مصادر التوجيه في علم القراءات¹⁸ وهي الحجة لأبي علي الفارسي والمحتسب لابن جني والكشف لمكي بن أبي طالب القيسي، بالإضافة إلى كتب التفسير التي سبقته كتفسير الطبري ومعاني القرآن للفراء والزجاج وأبي جعفر النحاس ... وغيرهم وسنمثل لتوجيهات ابن عطية للمشكلات النحوية الناجمة عن مخالفة القاعدة وفق المرتكزات الآتية مع التنبيه :

* التوجيه بتعدد اللغات : في قوله تعالى : (إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ اإِبْعَثْ لَنَا مَلَكًا نَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا

وَمَا لَنَا إِلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا [البقرة : 244] .

قرأ نافع المدني (عَسَيْتُمْ) بكسر السين وقرأها باقي العشرة بالفتح¹⁹ ، واستشكل أبو حاتم السجستاني القراءة بالكسر نافيا أن يكون للكسر وجه عند العرب²⁰ . ووجهها ابن عطية بقوله : " ... ووجه الكسر قول العرب هو عس بذلك مثل حر وشج ، وقد جاء فعل وفعل في نحو نقم ونقم ، فكذاك عسيت وعسيت ، فإن أسند الفعل إلى ظاهر فقياس عسيتم أن يقال عسي زيد مثل رضي ، فإن قيل فهو القياس ، وإن لم يقل فسائغ أن يأخذ بالعتين فيستعمل إحدهما في موضع الأخرى كما فعل ذلك في غيره ، ومعنى هذه المقالة : هل أنتم قريب من التولي والفرار . إن كتب عليكم القتال؟ " ²¹

* تشبيه القراءة بظواهر شعرية :

ومثاله قوله تعالى : (قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأَمِيتُ) البقرة 258 ، حيث اختلف القراء في إثبات ألف الضمير (أنا) وحذفها إذا جاء بعدها همزة مضمومة أو مفتوحة أو مكسورة ، فقرأ المدنيان بإثباتها مع المضمومة والمفتوحة وورد الخلاف عن قالون مع المكسورة²² ، وقصرها الجمهور ، واستشكل أبو علي الفارسي إثباتها فقال : " وأما ما روي عن نافع من إثباته الألف في (أنا) إذا كانت بعد الألف همزة ، فإنني لا أعلم بينها وغيرها من الحروف فصلا ، ولا شيئا يجب من أجله إثبات الألف التي حكمها أن تثبت في الوقف ، بل لا ينبغي أن تثبت الألف التي حكمها أن تلحق في الوقف ، وتسقط في الوصل قبل الهمزة ، كما لا تثبت قبل غيرها من الحروف في شيء من المواضع " ²³

أما ابن عطية فشبه هذه الألف بألف الإطلاق فقال وهذا مثال الألف التي تلحق في القوافي ، فتأمل . قال أبو علي : فإذا اتصلت الكلمة بشيء سقطت الألف ، لأن الشيء الذي تتصل به الكلمة يقوم مقام الألف ، وقد جاءت الألف مثبتة في الوصل في الشعر من ذلك قول الشاعر :

أنا شيخ العشييرة فاعرفوني ... حميدا قد تدريت السناما " ²⁴

• حمل معنى الاشتراك على تعدد الفعل من الواحد :

في قوله تعالى : (وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) البقرة : 51 ، قرأ أبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب الحضرمي لفظ (وَاَعَدْنَا) من غير ألف بعد الواو ، وقرأ باقي العشرة بالألف ، ونقل ابن عطية ترجيح أبي عبيد القراءة الثانية لأنّ المواعدة لا تكون إلا من البشر²⁵ ، وخطأه معتبرا

أن قبول موسى لوعده الله والتزامه وارتقابه يشبه المواعدة²⁶. أي حمل معنى الاشتراك على تعدد الفعل من موسى .

• التوجيه بتقييد المعنى :

في قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) (201) وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُفْصِرُونَ (202)) الأعراف ، قرأ جميع السبعة غير نافع «يَمُدُّونَهُمْ» من مددت، وقرأ نافع وحده «يَمُدُّونَهُمْ» بضم الياء من أمدت . ورجح الطبري (يَمُدُّونَهُمْ) بفتح الياء ، لأنّ الذي يمد الشياطين إخوانهم من المشركين فهو زيادة من جنس الممدود ، وإذا كان كذلك عبرت العرب بمددت لا أمددت²⁷.

إلا أن ابن عطية انتصر للقراءة الصحيحة عادة ما ذكره الطبري غير مطّرد بل هما بمعنى واحد "إلا أن المستعمل في المحبوب أمد فمنه قوله تعالى: (أَمَّا نُمَدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ) [المؤمنون: 55] وقوله: (وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ) [الطور: 22] وقوله: (أَمَدُّونَ بِمَالٍ) [النمل: 36] والمستعمل في المكروه مد فمنه قوله تعالى: (وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ) [البقرة: 15] ومدد الشيطان للكفرة في الغي هو التزيين لهم والإغواء المتتابع: فمن قرأ في هذه الآية «يمدونهم» بضم الميم فهو على المنهاج المستعمل، ومن قرأ «يمدونهم» فهو مقيد بقوله في الغي كما يجوز أن تقيّد البشارة فتقول بشرته بشر²⁸.

• استحسان الاعتراض وتوجيهه :

في قوله تعالى : (قَالُوا يَا لَوْطُ إِنَّا رَسُولُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ) هُود 81 ، قرأ ابن كثير وأبو عمرو برفع (أَمْرَاتُكَ) ، وقرأ باقي العشرة بالنصب ، وأشكلت قراءة الرفع على بعض العلماء ، لأنّ الفعل (يلتفت) مجزوم بلا الناهية ، واستثناء المرأة من (أحد) يستوجب معنى أن تكون المرأة أبيض لها الالتفات ، فيكون التقدير إلا امرأتك ، فإنها لم تُنَّه عن الالتفات ، واستحسن هذا الاعتراض ابن عطية²⁹.

إلا أنه وجه القراءة بقوله : " وهذا الاعتراض حسن، يلزم الاستثناء من أحد رفعت التاء أو نصبت والانفصال عنه يترتب بكلام حكى عن

المبرد، وهو أن النهي إنما قصد به لوط وحده، و «الالتفات» منفي عنهم بالمعنى، أي لا تدع أحدا منهم يلتفت وهذا كما تقول لرجل: لا يقم من هؤلاء أحد إلا زيد، وأولئك لم يسمعوك، فالمعنى: لا تدع أحدا من هؤلاء يقوم والقيام بالمعنى منفي عن المشار إليهم³⁰.

• الاكتفاء بنقل موقف السابقين :

في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونَ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ إبراهيم : 22 ، قرأ الجمهور بفتح الياء في لفظ (بِمُصْرِحِيَّ) ، وقرأ حمزة بالكسر³¹. وعن قراءة حمزة قال أبو جعفر النحاس : "وهذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مردولة ولا وجه لها إلا وجه ضعيف ذكره بعض النحويين"³².

ولم نجد لابن عطية عزمًا في رده على هذا الوصف الصادم لقراءة سبعية متواترة حيث اكتفى بنقل موقف المعترضين عن القراءة ومن وافقها فقال : " ورد الزجاج هذه القراءة، وقال: هي رديئة مردولة ، وقال فيها القاسم بن معن: إنها صواب، ووجهها أبو علي وحكى أبو حاتم: أن أبا عمرو حسنها، وأنكر أبو حاتم على أبي عمرو"³³.

• التوجيه بالسماع عن العرب :

قد يخرج ابن عطية القراءة المخالفة للقياس بدليل سمعي نحو قوله تعالى : (قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) الأنعام : 162 ، حيث استشكل بعض العلماء رواية قالون وورش من طريق الأصبهاني وأبي جعفر إسكان (محيائي)³⁴، ونقل أبو شامة تشنيع بعض أهل العربية على نافع متعجبا منه³⁵.

يقول ابن عطية : " قال أبو علي الفارسي وهي شاذة في القياس لأنها جمعت بين ساكنين، وشاذة في الاستعمال ووجهها أنه قد سمع من العرب التقت حلقنا البطان ولفلان ثلثا المال، وروى أبو خلود عن نافع و «محيائي» بكسر الياء"³⁶.

• الإلحاق بالتنكير :

في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ الأنعام : 52 ، قرأ ابن عامر الشامي لفظ (بالْعَدَاةِ) بضم الغين وسكون الدال وواو بدل الألف (بالْعُدْوَةِ) ، وقرأ الجمهور بفتح الغين والدال وألف بعدها . وقال الفراء : " العرب لا تُدْخِلُ الألف واللام في الغدوة ؛ لأنها معرفة"³⁷. ورجح الفارسي قراءة الجمهور حين قال :

"الوجه قراءة العامة بالعادة ، لأنها تستعمل نكرة ومعرفة باللام ، فأما "عُدوة" فمعرفة وهو عَلْمٌ وُضِعَ للتعريف، وإذا كان كذلك فلا ينبغي أن تدخل عليه الألف واللام للتعريف" ³⁸.

قال ابن عطية : " ... ووجه القراءة بذلك أنهم ألحقوها ضرباً من التنكير إذ قالوا حيث عدوة يريدون الغدوات فحسن دخول الألف واللام كقولهم الفينة وفينة اسم معرف، والإشارة بقوله يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِلَى الصَّلَاةِ الْخَمْسِ. قاله ابن عمر ومجاهد وإبراهيم، وقال قتادة المراد صلاة الفجر، وصلاة العصر" ³⁹.

• ترجيح توجيهه عن آخر :

في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءُهُمْ لِيُرِدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (137) ﴾ الأنعام ، قرأ ابن عامر الشامي بضم الزاي وكسر الباء في كلمة (زَيْن) ورفع لام (قَتَلَ) ونصب دال (أولادهم) وخفض همزة (شُرَكَاءِهِمْ) بإضافة (قَتَلَ) إليه وهو فاعل في المعنى (نائب فاعل) ، فيكون فصلٌ بين المضاف وهو (قَتَلَ) وبين (شُرَكَاءِهِمْ) وهو المضاف إليه بالمفعول وهو (أولادهم) ⁴⁰.

واستشكل كثير من النحاة قراءة ابن عامر ، قال أبو جعفر النحاس : " وهذا يعني الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظرف أو غيره ، لا يجوز في شعر ولا غيره " ⁴¹ ووسمها كلٌ من ابن خالويه وأبي علي الفارسي بالقبيحة ⁴² ...

وذكر ابن عطية توجيهات جملة من النحاة ثم رجح توجيه سيبويه عاداً إياه الأصح فقال : " قال القاضي أبو محمد: وهي قراءة أبي عبد الرحمن السلمي والحسن وأبي عبد الملك قاضي الجند صاحب ابن عامر، كأنه قال: زينه شركاؤهم قال سيبويه: وهذا كما قال الشاعر:

ليبك يزيد ضارع لخصومة ... ومختبب مما يطيح الطوانح

كأنه قال يبكيه ضارع لخصومة، وأجاز قطرب أن يكون الشركاء في هذه القراءة ارتفعوا بالقتل كأن المصدر أضيف إلى المفعول، ثم ذكر بعده الفاعل كأنه قال إن قتل أولادهم شركاؤهم كما تقول حبيب إلي ركوب الفرس زيد أي أن ركب الفرس زيد. قال القاضي أبو محمد: والفصح إذا أضيف مصدر إلى مفعول أن لا يذكر الفاعل، وأيضا فالجمهور في هذه الآية على أن الشركاء مزينون لا قاتلون، والتوجيه الذي ذكر سيبويه هو الصحيح" ⁴³.

• نقل أكثر من وجه للقراءة :

في قوله تعالى : (إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) (90) يوسف ؛ قرأ الجمهور «من يتقى ويصبر» وقرأ ابن كثير وحده: «من يتقي ويصبر» بإثبات الياء، واختلف النحاة في توجيه هذه القراءة ، ونقل ابن عطية أكثر من وجه بصيغة التمريض على النحو الآتي⁴⁴ :

• فقيل: قدر الياء متحركة وجعل الجزم في حذف الحركة، وهذا كما قال الشاعر:

ألم يأتيك والأنباء تنمي ... بما لاقت لبون بني زياد

• وقيل: «من» بمعنى الذي ، و «يتقي» فعل مرفوع، و «يصبر» عطف على المعنى لأن «من» وإن كانت بمعنى الذي ففيها معنى الشرط،
• وقيل: أراد «يصبر» بالرفع لكنه سكن الراء تخفيفاً، كما قرأ أبو عمرو: (وَيَأْمُرُكُمْ) [البقرة: 67] بإسكان الراء.

• توجيه الإسكان بالاختلاس :

في قوله تعالى : (وَمَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بدينارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ) آل عمران : 75 ، اختلف القراء في قراءة (يؤدّه) بين محرك لهاء الضمير ومسكن لها ، فالجمهور على كسرها وقرأها أبو عمرو بن العلاء وحمزة وأبو جعفر بالإسكان¹ ، واعتبر الزجاج قراءة الإسكان غلطا بيّنا " لا ينبغي أن يقرأ به لأنّ الهاء لا ينبغي أن تجزم ، ولا تسكّن في الوصل ، إنّما تسكّن في الوقف"².
قال ابن عطية معقبا على قول الزجاج " وأما أبو عمرو فأراه كان يختلس الكسرة فغلط عليه، كما غلط عليه في بارئكم، وقد حكى عنه سيبويه، وهو ضابط لمثل هذا: أنه يكسر كسرا خفيفا"⁴⁵.

• توجيه القراءة بتقدير الحذف :

في قوله تعالى : (قَالَ أَبَشِّرْهُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ بَشِّرُونَ) (54) الحجر. قرأ أبو عمرو وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي «تبشرون» بفتح النون ، وقرأ ابن كثير بشد النون دون ياء، وقرأ نافع «تبشرون» بكسر النون.⁴⁶ واستشكل قراءة نافع كل من مكى بن

¹ ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر : ج1، ص 347 .

² الزجاج ، معاني القرآن وإعرابه : ج1، ص 432 .

أبي طالب في الكشف⁴⁷ ، وقال أبو حاتم كسر نون الرفع قبيح⁴⁸ ، وذكر عنه الرازي في التفسير الكبير أن إسقاط الحرفين لا يجوز⁴⁹ . ورد ابن عطية عن أبي حاتم بقوله : وهذا حمل منه، وتقدير هذه القراءة أنه حذف النون التي للمتكلم وكسرت النون التي هي علامة الرفع بحسب الياء، ثم حذفت الياء لدلالة الكسرة عليها، ونحو هذا قول الشاعر أنشده سيبويه:

تراه كالثغام يعل مسكا ... يسوء الفاليات إذا فليني

ومنه قول الآخر : أبالموت الذي لا بد أني ... ملاق لا أباك تخوفيني
ومن حذف هذه النون قول الشاعر :

قدني من نصر الخبيبين قدي

ريد عبد الله ومصعبا ابني الزبير، وكان عبد الله يكنى أبا خبيب⁵⁰ .

* الخاتمة :

- توجيه القراءات هو الكشف عن وجه كل قراءة وعللها ، من حيث الفرق بين معانيها ، مع بيان أنّ هذه القراءة لا تخرج عن لغة العرب.
- المشكل عند المفسرين عام وشامل لما أشكل لفظه وما أشكل معناه أو أوهم التعارض أو أشكل إعرابه أو ما أشكل من القراءات القرآنية .
- الاستشكال في القراءات القرآنية يكون بسبب معناها أو مخالفتها للقواعد النحوية أو من جهة الجمع بينها وغيرها .
- جهد المفسرين في توجيه القراءات المشكلة أقرب إلى الصواب من غيرهم لمراعاتهم السياق والمعنى العام للسورة واستحضارهم لمواضع القرآن المتصلة بمعنى الآية .
- اعتمد ابن عطية الأندلسي على أهم مصادر التوجيه والعلل التي سبقته، كما تعد توجيهاته مصدرا لمن جاء بعده .
- اعتمد ابن عطية على جملة من القواعد التي وجه بها القراءات القرآنية المشكلة منها :
- التوجيه بتعدد اللغات.

- تشبيه القراءة بظواهر شعرية.
 - حمل معنى الاشتراك على تعدد الفعل من الواحد.
 - التوجيه بالسماع عن العرب.
 - ترجيح توجيهه عن آخر.
 - الإلحاق بالتنكير :
 - توجيه الإسكان بالاختلاس.
- على جلالة قدر ابن عطية في التفسير وعلوم اللغة إلا أنه يكتفي بنقل
استشكال من سبقه بل ينصص على طعنهم في القراءة دون توجيه للقراءة
ولا دفاع عنها.



- 1 ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، 1399هـ - 1979م. ج 6 ص 88.
- 2 ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر - بيروت ، ط 3 - 1414 هـ ، ج 13 ، ص 555.
- 3 البالنوري سعيد أحمد بن محمد ، العون الكبير شرح الفوز الكبير ، المكتبة الحيدية بديوبند ، الهند ، ص 198.
- 4 تمام حسان ، الأصول دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، عالم الكتب مصر ، 2000 ، ص 206.
- 5 حسن سالم عوض الهبشان ، توجيه المفسرين للقراءات المختارة للقرآن الكريم حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم وحدة البحوث والدراسات ط 1 ، ص 1434 هـ - 2011 م ، ص 91.
- 6 ابن أبي مريم ، الموضح في وجوه القراءات وعللها : ج 1 ، ص 88 .
- 7 حسن سالم عوض الهبشان ، مرجع سابق ، ص 106.
- 8 الأنباري أبو بكر ، الزاهر في معاني كلمات الناس ، تحقيق حاتم الضامن ، لبنان ، مؤسسة الرسالة ، ط 1 ، 1412 هـ ، ج 2 ، ص 151.
- 9 ابن منظور ، مرجع سابق ، ج 4 ، ص 2310.
- 10 الزبيدي ، تاج العروس ، مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، ج 29 ، ص 269.
- 11 الشاشي ، أصول الشاشي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ص 81 ، مع الانتباه إلى أنّ هذا مذهب أصوليي الأحناف ؛ واخترته دون مذهب الجمهور لأنه أقرب لما نحن فيه .
- 12 للاستزادة ينظر : عبد الله حمد المنصور ، مشكل القرآن الكريم ، لبنان ، بيروت دار ابن الجوزي ، ط 1 ، 1426 هـ ، ص 54 وما بعدها .
- 13 الزمخشري جار الله ، الكشاف ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط 3 - 1407 هـ ج 1 ، ص 91.
- 14 ابن عطية الأندلسي ، المحرر الوجيز ، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط 1 - 1422 هـ ، ج 2 ، ص 148.
- 15 السمين الحلبي ، الدر المصون ، الدكتور أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ، ج 3 ص 247.
- 16 ابن الجوزي ، فوائد في مشكل القرآن ، تحقيق سيد رضوان علي الندوي ، جدة دار الشروق ، ط 2 ، 1402 هـ ، ص 97.
- 17 السمين الحلبي ، مرجع سابق ، ج 9 ، ص 352.
- 18 ينظر : أحمد بن علي السديس ، منهج ابن عطية الفى عرض القراءات في تفسيره المحرر الوجيز ، رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، 1430 هـ - 1431 هـ ، ص 23.

- 19 ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، علي محمد الضباع ، المطبعة التجارية الكبرى ج 2، ص 230 .
- 20 مكي بن أبي طالب القيسي ، الكشف عن وجوه القراءات السبع ، تحقيق محي الدين رمضان دمشق ، مجمع اللغة العربية ، 1394 هـ ، ج1، ص 303 .
- 21 ابن عطية ، مرجع سابق ، ج 1 ص 330 .
- 22 ابن غليون أبو الحسن ، التذكرة في القراءات الثمان ، تحقيق أيمن رشدي سويد ، ط 1 1412 هـ - 1991م .، ص 272 ، 273 .
- 23 أبو علي الفارسي ، الحجة للقراء السبعة ، تحقيق بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي دمشق ، دار المأمون للتراث ط 1 ، 1404 هـ - 1984م .، ج 2 ص 364 ، 365 .
- 24 ابن عطية ، مرجع سابق ، ج 1 ص 346 .
- 25 أبو حيان الغرناطي ، البحر المحيط ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض بيروت، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، 1413 هـ - 1993م ، ج1، ص 357 ، ومكي الكشف : ج1، ص 240 ؛ ابن عطية ، مرجع سابق ، ج1، ص 142 .
- 26 ابن عطية ، مرجع سابق ، ج1، ص 142 .
- 27 الطبري ابن جرير ، جامع البيان في تأويل القرآن ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، لبنان بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ - 2000م ، ج13، ص 340 .
- 28 ابن عطية ، مرجع سابق ، ج 2، ص 492 .
- 29 أبو حيان ، البحر المحيط ، ج 5، ص 248 .
- 30 ابن عطية ، مرجع سابق ، ج 3، ص 192 .
- 31 الداني أبو عمرو ، التيسير في القراءات السبع ، لبنان ، بيروت ، دار الكتاب العربي ط 2 ، 1404 هـ - 1984م ، ص 109 .
- 408 هـ - 1988م ، ج 3 ، ص 159 .
- 33 ابن عطية ، مرجع سابق ، ج 3 ص 334 .
- 34 الدمياطي عبد الغني ، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، تحقيق أنس مهرة لبنان دار الكتب العلمية ط 1 ، 1419 هـ - 1998م ، ص 217 .
- 35 أبو شامة عبد الرحمن ، إبراز المعاني من حرز الأمانى ، تحقيق محمود جادو ، المدينة المنورة ، مطبعة الجامعة الإسلامية ، 1413 هـ ، ج2، ص 249 .
- 36 ابن عطية ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 369 .
- 37 الفراء أبو زكريا ، معاني القرآن ، ج2، ص 139 .
- 38 نسب ابن عادل الدمشقي هذا القول لأبي علي الفارسي ولم أجده في موضعي غداة من الأنعام والكهف في حجة أبي علي الفارسي، ينظر : اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، ط1، 1419 هـ - 1998م ، ج 8 ، ص 162 .

- 39 ابن عطية ، مرجع سابق ، ج 3 ، ص 512 .
40 ينظر : ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، ج 2 ، ص 297 .
41 النحاس أبو جعفر ، إعراب القرآن ، ج 1 ، ص 583 .
42 ينظر: ابن خالوية ، الحجة في القراءات السبع، تحقيق عبد العال سالم مكرم ، القاهرة دار الشروق ، ط3 ، 1399هـ — 1979م ، ص 151 . وينظر : أبو علي الفارسي، الحجة ج3، ص 411 .
43 ابن عطية ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 349 .
44 ينظر : ابن عطية ، مرجع سابق ، ج 3 ، ص 277 .
45 نفسه ، ج 1 ، ص 457 .
46 ينظر ابن الجزري ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 302 .
47 مكي بن أبي طالب ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 31 .
48 الشهاب الخفاجي ، حاشية الشَّهابِ عَلَى تَفْسِيرِ البَيْضَاوِي (عِنَايَةُ القَاضِي وَكِفَايَةُ الرِّاضِي عَلَى تَفْسِيرِ البَيْضَاوِي)، دار صادر - بيروت ، ج 5 ، ص 298 .
49 الرازي فخر الدين ، مفاتيح الغيب دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط 3 - 1420 هـ ، ج 19 ، ص 151 .
50 ابن عطية ، مرجع سابق ، ج 3 ، ص 365 .

